

من طور خدك ما قرب موسى ... ومنين جبت ألن للمبسم
 من طور خدك ما قرب موسى ... ونارة اشترت منها السنا شمساً
 تخمين قبل مبسك عيسى ... وحول رضاك خمر حلو الطعم
 حول رضاك بالعجل خمره ... بكاس العقيق الزابدة حمرة
 من برفها في وجنتك حمرة ... قلبي مجاهرها وصبري ألفحم
 حمرة شفافك طعمها سكر ... ممزوج بالأطياب والعنبر
 خمارها مختارته سكر ... والوف عند أبواها تلتهم

إلى أن ختمها بقوله:

إياك تطمع بعدها مرة ... في الطيف كاسات الطمع مرة
 ما كل مرة بتسلم الجرة ... خايف أنا بعد الطمع بتندم

وله مع بعض الزجليين (القوالين) نوادر ومحاضرات ولاسيما ألفران وغيره إلى كثير مما
 يماثل هذه النوادر والنكات اللطيفة الجامعة لكثير من الأنواع البديعة كالجناس والتورية
 والتلميح والتوجيه والانسجام والتفنن وغيرها من منح الكلام ولطائف النظام وكثيراً ما
 يساعد الزجل على سرد القصص والأقوال طبعية بدون تكلف أمثلة القيود مثل الأعراب
 والوزن الخاص ذلك فيجئ كنه من السهل المتنوع والمعنى المبتكر.
 عيسى اسكندر معلوف

مشاهد برلين

وعلى ذكر البحث في الأخلاق والآداب اذكر أني كنت أقجول في بعض الغابات حول
 قرية عن برلين نحو ساعة في القطار (فيزدورف) فخطرت على قلبي الموازنة بين المعارف

والأخلاق وبدأ لي وقتئذ أن كفة الأخلاق الإنسانية نظراً إلى وزنها بترقياته العلمية لم تنزل
خفيفة فقلت تحت عنوان أيها الإنسان:

أما كفالك ظباء أو مهاً بري ... حتى تقنصت آساد الشرى بزبي

وما اقتنعت بما يطفو على لجج ... ففصت تلقط دراً تحتها رسبا

ولتقف عند تنسيقي المقال إلى ... أن ماج حسناً وصار الثغر والشبا

فبعد الرسالة دهرأ أقمت له ... وزناً - أكان حصاً ثم انثنى ذهباً؟

قنيت وجهك بعد الأرض في فلك ... فظلت ترصد منه السبعة الشهبا

أما تفقهت عنها في حقائق ما ... وراءها فنضحت الشك والريبا

سار اليراع رويداً فانتفضت لما ... يحدو الصحائف في شوط أو الكتبا

صغت الحديد مطايا إذ تلبثت ال - جياد أو لقيت في سيرها نصبا

وضاقي الأرض ذرعاً عن خطاك فما ... لبست أن سرت في جو مسير جدا

واشتقت لمجة ألف فاهتديت لأن ... تمتع السمع منها حيشما ذهباً

حكى الصدى صيحة زجت فجئت بما ... يحكي القصائد أنى شئت والخطبا

حب الحياة استثار منك إلى ... طب وحرب فكنت البرء والوصبا

فما الطبيب بمستشفاه أرغب في ال - بقاء ممن يلاقي البيض والشهبا

أرسلت في كل واد رائداً فدرى ... من حكمة البحث كنه البحث والسببا

لكنني ما دريت اليوم أنك قد ... أفرغت في نفسك الأخلاق الأدبا

كنت أسيع في تلك الغابات ترويحاً للخاطر وإيثاراً لها في بعض الأحيان على مشاهد

الحضارة وزخارفها ولاسيما في أيام رمضان حتى قلت خلال السباحة في سياق الإعجاب

بالبداوة والارتياح إلى بساطتها أبياتاً صورت فيها حالة راعي الغنم تحت عنوان (الملك الطبيعي) وهي:

تقلد الملك بين الضال والسلم ... وهب يفتح من غور إلى علم
 فعرشه ربوة حاكت طنافسها ... أنامل الغيث إذ جادت بمنسجم
 والشمس تاج تجلى فوق هامته ... فلا تسوره أضغان محتم
 ما البدر والنجم إلا الكهرباء سرت ... من حوله فأماطت برقع الظلم
 وآلة الطرب الحملان ترتع في ... خصب فيسمع منها أطيّب النغم
 والظي يرقم في طرس ألفلاة خطأ ... أحلى لناظره من جولة القلم
 والرعد يوجز في إنذاره خطباً ... يكفيه رائعها عن مطنب الحكم
 والبرق (برق) بلا سلك يبلغه ... بشرى تلقنها من مصدر الديم
 صفت مناظر غدران فكان له ... فيها مرايا جلاها ساقل النسم
 عيناه ذي سارقت جفن المها نظراً ... وتلك ناظرة شزراً إلى الأجم
 لم يتخذ سمرا توحى إليه بما ... شاءت وتخصب بعض الحق بالكتم
 وما توارى لا بحجاب تدود أخوا ... قضية قد أسالت قلبه بدم
 لم يشنه الغوص في مجرى السياسة إن ... تهزه رقية النفاث في الكلم
 ألم تقف تلکم الورقاء تشده ... من شعرها موقف المثني على هرم
 وما أمتطى مركباً كي لا يضاق في ... مطافه أنفس العجفاء الهرم
 ومن تولى زمام الأمر في ملا= لم يقل في ساسهم سعيّاً على قدم

وأذكر أني كنت ذات يوم في مقعد من أحد المنازه العامة وفي يدي صحيفة أكتب بها بعض ما يسنح من الخواطر فوقف علي أحد الأساتيد فسألني عما أكتب فقرأت عليه من حديث تلك الصحيفة الجمل الآتية: تفرق الأمة يفضي إلى موتها. وأقول التفرق أثر الموت فإن الجسم يموت فتفرق أجزاؤه. أربط نفسك باعتقاداتك تعمل لمن يشب أو ينشأ بعد موتك حتى لا يكون في صدرك حرج إذ تكون بضاعتك بين أهل عصرك كاسدة. يتلذذ المستقيم بعفته كما يتلذذ ألفاسق ببلوغ شهرته ولكن أمام لذة الاستقامة عقبة لا يقتحمها إلا قوي الإرادة. لا تثق في نفسك فيما تدعي من الإخلاص لأمتك حتى يلذ لك أن تصلح الخلل في نظامهم وهم لا يشعرون. إذا وثقت بعري التوكل على الله لم تحتج أن تمر إلى الحق على جسر من الباطل إن الرجل ليعجب مما يصنع الساحرون أفلا يعجب من لذة تمر على قلبه مر السحاب ثم تنقلب مخازي تلبث في صحيفة حياته أحقاباً. يكفيك فيما تجني من ثمرة العلم الصحيح أن يرفع همتك عما فتن به الجاهلون من زهرة هذه الحياة. إذا أغلق المحيط عين رقبتك وختم على أفواه عذالك ثم راودك على أن تترع حلية أدبك فقل ليس للفضيلة وطن كيف تسترسل مع الأصحاب إلى أن تحيد عن جانب الفضيلة وهم لا يرقبون ذمتك فيقفوا لك عند ما تقف في دائرها. أسير مع الرجل على قدر ما أدرك من قيمته فإن نظرت إليه على حسب وجاهته أو كساد سمعته عند الناس فقد ألقيت بنفسي في حمأة من التقليد. إذا أحببت الذي يجاملك وهو يحارب الله لم يكن بغضك لمن حارب الله وأمسك عن مصانعتك من قبيل الغيرة على حرم الشريعة. لا يدرك قصير النظر من الحداثق المتناسقة غير أشجار ذات أفنان وثمار ذات ألوان وإنما ينقب عن منابتها وأطوار نشأتها ذو فكرة متيقظة. لا تحمل نفسك ما لا تطيق من منة وضيعاً ونخوة

فخور فإذا أحسست في صدرك بالحاجة إليه فاصنع ماذا تصنع لو بقي في مولته الأولى أو أدركته مولته الثانية. لا تعجب لذوق ينكر ما ألقته أو يألف ما أنكرته حتى ينقلب في التجارب والمشاهدات التي تقلب فيها ذوقك أطواراً. قد يقف لك الأجنبي على طرف المساواة حتى إذا حل في وطنك غالباً دفعك إلى درك أسفل واتخذ من عنقك موطناً. في الناس من لا يلاقيك بثغر باسم إلا إذا دخلت عليه من باب الغباوة أو خرجت له عن قصد السبيل فأحتفظ بالمعيتك واستقامتك فإنما يأسف على طلاقة وجهه قوم لا يفقهون. إن من الجهال من يرمي على مقام وجيه فعلمه بسيرتك القيمة إن الجهالة لا ترجح على العلم وزناً وإن وضع بإزائها السلطة الغالبة أو الثروة الطائلة يكفي الذي يسير في سبيل مصلحة الأمة وهو يلاحظ من ورائها منفعة لنفسه يكون في حل من وخزات أقلامها أما أطواق الشكر الصادق فإنما يتقلدها المخلصون ألا ترى الماء الذي في مجاريه الأقدار كيف يتهجم منظره ويحبث طعمه فاطرد عن قلبك خواطر السوء فإنه المنبع الذي تصدر عنه أعمالك الظاهرة لا تنقل حديث الذي يفضي به إليك عن ثقة أمنك وحسن عقيدة في أمانتك ويمكنك متى كان يرمي إلى غاية سيئة أن تجعل مساعدتك عرضة في سبيله فتحفظ للبروءة عهداً وتقضي للمصلحة العامة حقها لو فكرت في لسانك حين يعرض لأطراد نفسك لم تميزه عن السنة تقع في ذمها إلا بأنه يلصق بك نقيضة لا يحتاج في إثباتها إلى بينة إذا ركبت في السياسة مركب الشعر فقلت ما لا تفعل أو همت في واد لا تعرج فيه على حق فانفض ثوبك من غبارها فإنه ليس بالغبار الذي يصيبك في سبيل الله أصغي ذلك الأستاذ إلى هذه المخاطر فابتسم لها ابتسام المستحسن ولكنه ناقشني في الخطورة الأخيرة منها قائلاً إن مجال السياسة أوسع من دائرة الحقيقة فلم يسعني في الجواب عن

هذا النقد سوى أن قلت أن الوقائع النادرة لا تمنع من سبك المقالات الموجزة وصياغتها في أساليبها المطلقة

نقودهم

تحتوي النيرة على ٢٠ ماركا وتترتب من ٩٠٠ قسم من الذهب و ١٠٠ قسم من النحاس ويحتوي المارك على ١٠٠ فينيش ويتركب كالقطعة ذات ثلاثة أو خمسة ماركات من ٩٠٠ قسم من الفضة و ١٠٠ قسم من النحاس ويتركب ألفنيش من ٩٥ قسماً من النحاس و ٤ أقسام من القصدير وقسم من الزنك وهناك قطع من النيكل ذات خمسة فينيشات وتتركب من ٢٥ قسماً من النيكل و ٧٥ قسماً من النحاس ولا فرق في المعاملة عندهم ما بين الأوراق النقدية والمسكوكات الذهبية والفضية وكثيراً ما تعطى الورقة ذات الخمس الليرات لمن يستحق مقدار عشرة متليكات كصاحب القهوة فينسكها من غير أن يشتمز منها قلبه ولا يعز عليه أن يصرفها بأوراق صغيرة وكثير من المسكوكات الفضية

كلمة في الموسيقى

اقتبسوا أنغامهم الموسيقية وتلاحينهم من الأوضاع الإنكليزية وقد هموا هذه الآونة أن يهجروها ويستبدلوا غيرها بما قطعاً لآثار الإنكليز من بينهم وأكبر موسيقي ظهر لديهم الشاعر (فكتر) - المتوفي سنة ١٨٨٣ وله روايات شعرية تستعمل في الملامهي التي تجري فيها الروايات مقارنة لأنغام موسيقية وتستعمل عندهم روايات شاكسبير الإنكليزي من شعراء المائة السادسة عشرة وقد أحب بعضهم طرحها والاستغناء عنها بالروايات التي هي من أوضاعهم ورأى آخرون إبقائها لأن شاكسبير لم يقل في الأمة الألمانية سوءاً.

اللغة ونبذها من آدابها

تنقسم اللغة الجرمانية إلى قسمين شمالية وتندرج فيها الدانماركية والنرويجية والسويدية وجنوبية وتدخل فيها الإنكليزية والهولندية والألمانية واندمج في اللسان الألماني مفردات كثيرة من اللسان الفرنسي والإنكليزي وكان فيما ولد عن هذه الحرب أن أخذوا في إلغائها والاستغناء عنها بما يقوم مقامها من الأوضاع الألمانية ولا يعز عليهم ذلك ما دامت لهم جمعية لغوية قائمة بإصلاح اللغة وتكميل نواقصها بني اللسان الألماني على وضع الأعراب مثل اللغة العربية وينقسم الاسم فيه إلى مذكر ومؤنث وواسطة يسمى بالجرود وعلامات الإعراب في الأنواع الثلاثة مختلفة ومن خواص هذا اللسان أن يضع المتكلم أداة التعريف ويذكر عقبها أوصاف المعرفة مفردات وجملاً ثم يأتي بالسم المعرفة من بعدها وربما اشتملت تلك الجمل المتوسطة على أدوات تعريف ومعرفاتها ويمثل هذا أن لهم أفعالاً كثيرة تتركب من كلمتين وتدل على معنى واحد فيأتي شطر الفعل بصدر الجملة وتلقى القطعة الثانية في آخرها وقد يفصل بين القطعتين بما ينوف على عشر كلمات وهذه الوجوه هي التي يلاحظها من يرى في تعلم هذا اللسان صعوبة تستدعي مدة أوسع من أوقات تعلم كثير من اللسان ولكن من جهة الكتابة سهلة المأخذ جداً لأنهم الأحرف المرسومة هي المنطوقة بها من غير تفاوت ويلتزمون التعبير عن المفرد المخاطب بضمير الجمع إلا لأن يكون من صغار أقاربه أو يكون الخطاب في شعر وإيراد ضمير الجمع للمفرد المخاطب تعظيماً له لم يكن معتاداً للعرب قبل هذه العصور وإنما يعرف منهم هذا الأسلوب في حال المتكلم فيستعمل المتكلم ضمير الجمع مكان ضمير المفرد تعظيماً لنفسه وورد عنهم ضمير الجمع المخاطب في الواحد بقلة ومن شواهد قوله

تعالى (رب ارجعون) الآية حيث وقع خطاب الله تعالى بواو الجماعة إجلالاً وأدباً رفقت لهم فيما يستعملون من محاسن البديع على مثل الجناس والتورية وكانوا يعتبرون في طريقة شعرهم اتفاق الكلمات في أحرفها الأولى وأصبحت اليوم مراعاتهم لهذا الشرط نادرة أما صناعة الخطابة فإني كنت شهدت محاضرات وخطباً كان أصحابها ينظرون عند إلقائها إلى أوراق نصب أعينهم فوق في خاطري أن هذه الصناعة لم تبلغ عندهم أشدها ولكني حضرت مسامرة موضوعها (الإسلام في عالم الحرب) فقال بعد المسامر ثلاثة خطباء من غير أوراق والقوا خطباً مسهية بترسل في القول ونودة ولا يشير الخطباء بأيديهم كثيراً حال الخطبة بل سمعت منهم من ينكر ذلك الصنيع ولا سيما حركة لا يكون وضعها مناسباً للمعنى الذي يقترن بها وهذا ما كان العرب ينقدونه على خطبائهم أيضاً قال الحجاج لأعرابي الخطيب أنا قال نعم لولا أنك تشير باليد وتقول أما بعد ويعدون بسمرك من أبلغ خطبائهم الذين يخطبون بلهجة شديدة ولبلاغته في لسانهم يستشهد مؤلفو الكتب اللغوية ببعض عباراته يوجد في أدايم من يقول الشعر ارتجالاً كنت حضرت لشاعر يقف في مشهد عظيم فيلقى عليه طوائف من الحاضرين جهلاً منشورة في معان متباينة وهو يكتبها في أوراق بيده جملة بعد أخرى وبأثر الفراغ من الكتابة ينطق بكل جملة منها شعراً يؤديه في صوت ولهجة قوية .

ضبط إداري

يوجد مع كل شرطي سفر في ضمنه أسماء الشوارع والحدائق والحدائق الشهيرة مثل دوائر الحكومة والمعاهد العلمية فيستعين به في أداء وظيفته ويهدي به من عني عليه السبيل من السائدين ويحمل ميزات المائعات (أر يوميتتر) فيزن ما يجده عند الباعة من

حليب ونحوه فإذا عرف فيه خلطاً أراقه ويراقب الشرطي الغرباء وغيرهم يتتبعهم بالملاحظة حيثما تقلبوا كنت يوم ماراً في جاداً من العاصمة فلقيني شرطي وناولني مكتوباً أرسل إلى من طرف إحدى الجمعيات وانصرف من غير أن يسألني عن اسمي ومن تراتيب إدارة الشرطة أن أصحاب البيوت أو الخانات إذا نزل عندهم أحد قدموا إليها ورقة تحتوي على اسمه وبلاده وعمره وحرفته ثم أن الدائرة تطلب الشخص نفسه لتتظر في حاله وتطلع على رخصة سفره أن كان من بلاد أجنبية. ومن شواهد اعتناء إدارة السكة الحديدية بالشؤون المتعلقة بها وأخذها فيها بطريق الحزم أن ضاعت مني ورقة القطار الشهرية بين برلين وقرية فتردورف فبقيت ثلاثة أيام أسافر بورقات يومية ولما جئت في اليوم الرابع إلى مقطع الأوراق أقبل على أحد العاملين في الإدارة وقال لي ضاعت منك ورقة شهرية وقد عثرنا عليها ثم صعد إلى محل الإدارة وناولني إياها وكان وجه العجب إلي لم ألق إليهم خبرها من قبل ولم أضع عليها اسمي ذهولاً عما جرت به عادتهم.

العقوبة البدنية

لا يميزون العقوبة البدنية إلا لمن سجن في جنابة تترع شرفه ويخاطب عند ذلك بضئير المفرد المخاطب ومن أمثلة الجنايات التي ينسلخ بها الشرف عندهم أن يفسد الرجل عرض من لم يتجاوز عمرها الرابعة عشرة من سنّها ويجري الإعدام قصاصاً عندهم بآلة مثل الساطور تضرب في عنقه من خلف ولا يقع علناً بل يشهده أفراد خاصة مثل الحاكم به والمدعي العام.

مسجد الأسرى

أنشأت الدولة الألمانية للأسرى المسلمين جامعا للصلاة وحماماً ومحلات للوضوء ومنارة شامخة للآذان وإقامت غرة رمضان سنة ١٣٣٣ حفلة افتتاحية محضرها سفير دولتنا العلية محمود مختار باشا وفريق من أعيان العسكرية والنظارة الخارجية الألمانية وجمع كبير من الشرقيين والمستشرقين فألقى نائب النظارة الحربية خطاباً ترجمه إلى العربية بمنطق فصيح القبطان منس ثم ألقى سفيرنا خطاباً باللسان الألماني ثم تلا أمام الاسارى وهو من أعيانهم الجزائر بين خطاباً شكر فيه رفق الدولة الألمانية ومجاملتها لهم ثم القي كاتب هذه المقالة خطاباً عربياً.

عنايتهم بأحوال الشرق

لم يكن للألمان على ما عهدوا من إشباع البحث في أحوال الأمم عناية بمعرفة الشؤون الشرقية تشابه العناية التي أخذتهم لعهد هذه الحرب فقد أصبحوا يوسعون البحث في أحوال الشرق ويلتقطون دقائق أخباره السياسية أو العلمية أو الاجتماعية بجلء آذانهم ومجامع قلوبهم ومن أثر هذه العناية أن أنشؤا منذ ابتداء الحرب دائرة ترتبط بنظارة الخارجية تسمى إدارة الأخبار الشرقية واستخدموا فيها فريقاً من العارفين بالألسنة الشرقية فترى بين العامنين فيها الكاتب العراقي والمصري والجزائري والفارسي والحجازي والقفقاسي والهندي وتجلب إليها الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية والهندية وغيرها ويترجون منها إلى الألمانية ما يهم الإطلاع عليه، ولا سيما المقالات والآراء التي لها مساس بحالة الإسلام أو ألمانيا ومن أعمال هذه الإدارة نشر الرسائل والمحاضرات التي لها علاقة بالحرب الحاضرة بالسنة مختلفة. وألقى بعض الألمانين أيام كنت هناك محاضرات كثيرة في الكشف عن أحوال الشرق الإسلامي منها محاضرة تبحث

عن الاقتصاد في العثمانية وأخرى في ألفرس ومحاضرة موضوعها الإسلام في عالم الحرب، ومن عاداتهم في المحاضرة أن ينصب الخاضر عن يساره أو يمينه خريطة البلاد التي يقصد البحث في حالتها وربما عرضها في التمثيل السموتغرافي ويشير في أثناء تقريراته بإصبعه أو بقضيب في يده إلى الأماكن التي جرت منه المناسبة إلى الحديث عنها. ومن بين صحفهم مجلة تسمى (العالم الإسلامي) تنشر الأبناء الواردة عن عالم الإسلام وتبحث عما يجري فيه من شؤون اجتماعية أو علمية، وكنت أهديت إلى مدير الأخبار الشرقية نسخاً من تأليفنا الحرية في الإسلام. حياة اللغة العربية. الدعوة إلى الإصلاح. مدارك الشريعة الإسلامية. مناهج الشرف. فعرضها على الأستاذ (مرتين هرقمان) مدرس اللغة العربية بمدرسة الألسنة الشرقية وأخبرني هذا الأستاذ أنه كتب في التعريف بها كتابة يريد نشرها في عالم الصحافة. دمشق

محمد بن الخضر

مخطوطات ومطبوعات

الأسرار الكونية

في الكرة الأرضية

الجزء الأول والثاني تأليف محمد علي أفندي الخايري

طبع بمطبعة روضة الشام بدمشق سنة ١٣٣٣

وهو مختصر في أقسام الأرض الطبيعية والسياسية وأقسام المخلوقات مع فروعها وهو نافع لتلامذة المدارس الأحداث وقد توسع المؤلف قليلاً في جغرافية بلاد الشام وعساه يعتمد